ابن القيم

أعـــلام المؤرخـــين

الإمام الفقيه ابن القيم

هو الفقيه الأصولي أبو عبد الله الشمس محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي ابن قيم الجوزية (٦٩١ - ٧٥١هـ).

نشأ في كنف والده، ودرس على عدد من أهل العلم بعدما حفظ القرآن وسمع حديث النبي ﷺ وتفقه بمذهب الحنابلة حتى برع فيه، وأفتى، وتفنن في علوم الإسلام، تفسيراً وحديثاً، وعقيدة وعربية، وسلوكاً، وفقهاً وطبًّا، وغير ذلك.

وقد نفعه الله كثيراً بشيخ لازمه وانتفع به وهو الشيخ أبو العباس تقي الدين أحمد بن تيمية (٦٦١ - ٧٢٨هـ)، ونجاه الله من هلكة البدع والأهواء، فصاحبه ستة عشر عاماً حتى أضحى أبرز تلاميذه وأشهرهم، بعد أن كان سيئاً في هدايته من مزالق المذاهب الفاسدة حيث يقول ابن القيم في ذلك نظماً:

يا قوم والله العظيم نصيحة ::: من مشفق وأخ لكم معوان
جربت هذا كله ووقعت في ::: تلك الشباك وكنت ذا طيران
حتى أتاح لي الإله بفضله ::: من ليس تجزيه يدي ولساني
خَبَرٌ أتى من أرض حران فيا ::: أهلاً بمن قد جاء من حران
فالله يجزيه الذي هو أهله ::: من جنة المأوى مع الرضوان
أخذت يداه يدي فسار ولم يرم ::: حتى أراني مطلع الإيمان
ورأيت أعلام المدينة حولها ::: نزل الهدى وعساكر القرآن
ورأيت آثاراً عظيماً شأنها ::: محجوبة عن زمرة العميان
ووردت رأس الماء أبيض صافياً ::: حصباؤه كلآلئ التيجان

وقد لازمه حضراً وسفراً وسجناً، حتى سجن معه في سجن القلعة بدمشق سنة (٧٢٦هـ) إلى وفاة شيخه سنة (٧٢٨هـ) حيث

خرج بعدها.

ومع اشتغاله بالتعلم والتعليم فقد أخذ عنه العلم الجم الغفير من العلماء، لما رزقه الله من حسن الخلق ولين الجانب، وممن انتفع به:

١ - أخوه الزين عبد الرحمن بن القيم (ت ٧٦٩هـ).

٢ - وأبناؤه ومنهم البرهان إبراهيم بن محمد بن القيم وهو النحوي صاحب شرح الألفية، وابنه عبد الله وهو الحافظ الذكي.

٣ - والحافظ ابن عبد الهادي المقدسي الحنبلي.

٤ - ومنهم الحافظ الزين عبد الرحمن بن رجب الحنبلي.

أما عبادته وعلمه، فقد قيل: إنه ما تحت أديم السماء أوسع علماً منه، وكان ذا عبادة وتهجد وطول صلاة، وتأله ولهج بالذكر وشغف بالمحبة والإنابة والاستغفار والافتقار إلى الله والانقياد له والانكسار بين يديه على عتبة عبوديته، لم أشاهد مثله في ذلك. ولا رأيت أوسع منه علماً، ولا أعرف بمعاني القرآن والسنة وحقائق الإيمان منه، وليس هو بالمعصوم، ولكن لم أر في معناه مثله. وقد امتحن وأوذي مرات، وحبس مع الشيخ تقي الدين - ابن تيمية - في المرة الأخيرة في القلعة، منفرداً عنه، ولم يفرج عنه إلا بعد موت الشيخ، وكان في مدة حبسه مشتغلاً بتلاوة القرآن بالتدبر والتفكر، ففتح عليه من ذلك خير كثير، وحصل له جانب عظيم من الأذواق والمواجيد الصحيحة، وتسلط بسبب ذلك على الكلام في علوم أهل المعارف، والدخول في غوامضهم. وتصانيفه ممتلئة بذلك.

وحج مرات كثيرة، وجاور بمكة، وكان أهل مكة يذكرون عنه من شدة العبادة وكثرة الطواف أمراً يُتعجب منه.

ولازمت مجالسه قبل موته أزيد من سنة، وسمعت عليه قصيدته النونية الطويلة في السنة وأشياء من تصانيفه وغيرها.

وله في الفنون العلمية - في علوم الإسلام - اليد الطولى. (انتهى كلام تلميذه الحافظ ابن رجب).

أما تصانيفه فكثيرة جدًّا في أنواع العلم، مع شدة محبته للعلم وكتابته ومطالعته وتصنيفه واقتناء الكتب، حتى اقتنى من الكتب ما لم يحصل لغيره. وكتب بيده وبخطه ما لا يوصف شهرةً ونال من ذلك بعض مصنفات شيخه أبي العباس ابن تيمية.

ومن عيون ما كتب وألَّف:

١ - زاد المعاد في هدي خير العباد. وصفه ابن رجب بكونه في أربعة مجلدات خطية وهو كتاب عظيم جدًّا.

٢ - إعلام الموقعين عن رب العالمين. وصفه ابن رجب بكونه في ثلاثة مجلدات.

٣ - الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة. وصفه ابن رجب بكونه في ثلاثة مجلدات.

٤ - إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان. مجلدان.

٥ - تهذيب سنة أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته. مجلد.

٦ - مدارج السالكين في بيان منازل إياك نعبد وإياك نستعين. مجلدان، وهو كتاب جليل القدر.

ومن أهم مؤلفات ابن القيم:

١ - أبدية الجنة والنار = رسالة في أبدية الجنة والنار:

- وهو في الواقع قطعة من كتابه " حادي الأرواح ".

٢ - اجتماع الجيوش الإسلامية.

أسماء مؤلفات ابن تيمية:

٣ - أقسام الحيل ومراتبها.

٤ - أقسام القرآن.

٥ - أمثال القرآن وتفسيرها لابن القيم.

٦ - إيقاظ همم أولي الأبصار للاقتداء بسيد المهاجرين والأنصار.

حرف الباء(*)

١ - بدائع الفوائد.

٢ - بلوغ السؤل من أقضية.

٣ - " التبيان في أيمان القرآن " وهو " أقسام القرآن لابن القيم ".

٤ - تحفة المودود في أحكام المولود.

٥ - تفسير سورة الفلق لابن القيم.

٦ - تهذيب مختصر سنن أبي داود وإيضاح مشكلاته والكلام على ما فيه من الأحاديث المعلولة لابن القيم.

حرف الجيم

١ - جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام.

٢ - " الجواب الكافي " أو " الداء والدواء ".

حرف الحاء

١ - حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح.

٢ - حادي الأرواح.

حرف الدال

١ - الداء والدواء.

٢ - دلائل النبوة.

٣ - دواء القلوب:والظاهر أنه الداء والدواء.

حرف الراء

١ - رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه.

٢ - الرسالة التبوكية.

٣ - رسالة في أبدية الجنة والنار.

٤ - رسالة في الإرشاد.

٥ - رسالة في تفسير قوله تعالى:{ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلۡحَقَّ} [سبا: ٦] الآية.

٦ - رسالة في حق الشفعة.

٧ - رسالة في العمل بالخطوط.

٨ - رسالة في الفرق بين ذوق السماع وقراءة القرآن.

٩ - رسالة في قوله تعالى:{وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ} [المائدة: ٢] الرسالة التبوكية:

١٠ - رفع اليدين في الصلاة.

١١ - الروح لابن القيم:

١٢ - روضة المحبين ونزهة المشتاقين:

١٣ - " روضة العاشق ونزهة الوامق "، هي روضة المحبين لابن القيم:

حرف الزاي

١ - زاد المعاد في هدي خير العباد:

حرف السين

١ - سفر الهجرتين وباب السعادتين = انظر طريق الهجرتين..

حرف الشين

١ - شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل:

٢ - شرح الصلاة = الصلاة.

٣ - شرح منازل السائرين = مدارج السالكين في بيان منازل إياك نعبد وإياك نستعين.

حرف الصاد

١ - كتاب الصلاة:

٢ - الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة:

٣ - صيغ الصلوات على النبي ﷺ :

حرف الطاء

١ - الطب النبوي.

٢ - الطرق الحكمية.

٣ - طريق الهجرتين ومفتاح السعادتين.

حرف العين

١ - عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين.

حرف الغين

١ - غزو الجيوش الإسلامية في الرد على المعطلة والجهمية.

وانظر اجتماع الجيوش.

حرف الفاء

١ - الفروسية.

٢ - فصل يتعلق بأسرار الصلاة.

حرف القاف

١ - القصيدة الميمية = الميمية.

٢ - القطر الطيب من الكلم الطيب.

حرف الكاف

١ - الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية: النونية.

٢ - " الكلم الطيب والعمل الصالح " وهو " الوابل الصيب ".

حرف الميم

١ - مجموع رقم ٤٧٦٧.

٢ - مجموع فوائد ومسائل متفرقة.

٣ - مجموع.

٤ - مختارات من إعلام الموقعين = إعلام الموقعين.

٥ - مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية المعطلة.

٦ - مختصر هدي الرسول ﷺ لابن القيم.

٧ - مختصر الهدي النبوي " زاد المعاد " للشيخ محمد بن عبد الوهاب.

٨ - مدارج السالكين شرح منازل السائرين.

٩ - معرفة أنواع علم الحديث.

١٠ - مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة.

١١ معاني الأدوات والحروف.

١٢ - المنار المنيف في الحديث الضعيف.

١٣ - مناسك الحج.

١٤ - منتخب إغاثة اللهفان.

١٥ - من فتاوى النبي ﷺ في الحج.

حرف الهاء

١ - هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى.

٢ - الهدي النبوي: زاد المعاد.

حرف الواو

١ - الوابل الصيب = الكلم الطيب [١].

مِحَنُه وَوَفَاتُه:

لقد عاش ابن القَيِّم - رحمه الله - في مجتمع كان يسوده كثير من السلبيات والمفاسد الدينية والأخلاقية، وكان ابن القَيِّم - في ظل هذه الأوضاع السيئة - صاحب رسالة سامية، وأهداف نبيلة، ومبادئ

(١) الأثبات في مخطوطات الأئمة: شيخ الإسلام ابن تيمية، والعلامة ابن القيم، والحافظ ابن رجب.

إصلاحية يهدف من ورائها: إلى الرجوع بالناس إلى ما كان عليه سلف هذه الأمة من التمسك بالكتاب والسنة ونبذ البدع والخرافات والتقليد والتعصب.

لكن طريقه هذا الذي سار فيه لم يكن سهلاً ميسوراً، بل كان محفوفاً بالمشاقِّ، فنزلت به بسبب ذلك محن عديدة، وتعرَّض لإيذاء واضطهاد وفتن أثناء جهاده لنشر دعوته، وسعيه لإصلاح حال مجتمعه.

فلم يكن من السهل على هذا المجتمع الذي سيطرت عليه الأفكار الدخيلة، وسادته البدع المتوارثة، أن يستجيب لهذا المصلح المجاهد الذي بزغ نوره في هذا الظلام الحالك، وكيف يتم له ذلك ولهذه البدع حُرَّاسٌ وحماةٌ من أمراء البلاد وحُكَّامها، بل ومن بعض الْمُنْتَسِبين إلى العلم أنفسهم؟!

فقد كان الأمر صعباً إذاً، والمواجهة على أشدِّها، وظهر في الساحة أعداء لابن القَيِّم، يتربصون به الدوائر، ويحيكون ضده الدسائس والمؤامرات، كما فعلوا من قبل مع شيخه وأستاذه.

إنكاره شَدُّ الرَّحْلِ إلى قبر الخليل، ومحنته بسبب ذلك:

من البدع التي سادت المجتمع وقتئذ، وتقرب الناس بها إلى الله: بدعة شَدِّ الرَّحْلِ إلى قبر الخليل إبراهيم عليه السلام.

فقام ابن القَيِّم - رحمه الله - في وجه هذه البدعة منكراً لها، ومبيناً مخالفتها لسنة رسول الله ﷺ وهَدْيِه، فما كان من أعدائه وشانئيه إلا أن قاموا ضِدَّه، وآذوه، ثم حُبِس بسبب ذلك.

قال الحافظ الذهبي: " وقد حبس مدة وأوذي لإنكاره شدَّ الرحل إلى قبر الخليل " (١).

(١) المعجم المختص، ص٢٩٦، البداية والنهاية، ١٤/١٢٨.

والظاهر أن هذه هي المرة التي حبس فيها مع شيخه ابن تَيْمِيَّة رحمه الله؛ ذلك أنه في السادس عشر من شعبان سنة ٧٢٦هـ اعْتُقِل الشيخ ابن تَيْمِيَّة في قلعة دمشق، وذلك بسبب ما أفتى به من المنع من شد الرحل إلى قبور الأنبياء، وبعد ذلك بأيام " أمر قاضي القضاة الشافعي في حبس جماعة من أصحاب الشيخ تقي الدين في سجن الحكم.. وعزَّرَ جماعة منهم على دواب ونودي عليهم، ثمَّ أطلقوا، سوى شمس الدين محمد بن قيم الجوزية؛ فإنه حُبِس بالقلعة، وسكتت القضية ".

ولعل في إطلاقهم كل رفاقه وإبقائه وحده في الحبس، ما يُبَيِّنُ لنا مدى الحِنْق الذي كان في نفوس أعدائه - من أهل البدع - ضده، ويبين لنا في الوقت نفسه، ما كان لابن القَيِّم من دور بارز، وتأثير بالغ في الناس آنذاك، مما جعل هؤلاء يخشونه على بدعهم، فرأوا أن يحجبوه في السجن.

ولكن شاء الله سبحانه أن يشاطر ابن القَيِّم شيخه محنته هذه، فَسُجن معه في القلعة، ولأجل التهمة نفسها، ولكنه كان (منفرداً عنه)[1].

ولقد كان للحاقدين على شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة وتلميذه ابن القَيِّم دورٌ قبيح في حبسهما، وتدبير الشر ضدهما، ذلك أنهم حرَّفوا فتوى ابن تَيْمِيَّة: بأنه يُحَرِّمُ زيارة قبور الأنبياء مطلقاً، ويعتبر ذلك معصية، مع أن الشيخ - وكذا تلميذه - " لم يمنع الزيارة الخالية عن شد الرحل، بل يستحبها ويندب إليها، وكتبه ومناسكه تشهد بذلك.. ولا قال: إنها معصية.. ولا هو جاهل قول الرسول ﷺ:«زوروا القبور

(١) ذيل طبقات الحنابلة، (٤٤٨/٢).

فإنها تذكركم الآخرة». والله سبحانه لا يخفى عليه شيء ولا تخفى عليه خافية "[1].

ويَحكي المقريزي - رحمه الله - هذه الواقعة - مبيناً ملابساتها وظروفها - بأوسع من هذا، وأن ابن القَيِّم - رحمه الله - قد ضُرب في هذه المرة قبل أن يُحبس، فيقول: (وفي يوم الاثنين سادس شعبان - يعني سنة ٧٢٦هـ - حُبِس تقي الدين أحمد بن تيمية، ومعه أخوه زين الدين عبد الرحمن بقلعة دمشق. وضُرِب شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قَيِّم الجوزية، وشُهِّرَ به على حمار بدمشق.

وسبب ذلك: أن ابن قَيِّم الجوزية تكلم بالقدس في مسألة الشفاعة والتوسل بالأنبياء، وأنكر مجرد القصد للقبر الشريف دون قصد المسجد النبوي، فأنكر المقادسة عليه مسألة الزيارة، وكتبوا فيه إلى قاضي القضاة جلال الدين القزويني وغيره من قضاة دمشق.

وكان قد وقع من ابن تَيْمِيَّة كلام في مسألة الطلاق بالثلاث: (أنه لا يقع بلفظ واحد، فقام عليه فقهاء دمشق، فلما وصلت كتب الْمَقَادِسَة في ابن القَيِّم، كتبوا في ابن تَيْمِيَّة وصاحبه ابن القَيِّم إلى السلطان، فعرف شمس الدين الحريري - قاضي القضاة الحنفية بديار مصر - بذلك، فشَنَّع على ابن تَيْمِيَّة تشنيعاً فاحشاً، حتى كتب بحبسه، وضُرِبَ ابن القَيِّم)[2].

وقد ظل ابن القَيِّم محبوساً مدة، ولم يُفْرَج عنه إلا بعد وفاة شيخه بشهر؛ ذلك أن ابن تَيْمِيَّة قد توفي في محبسه بالقلعة في العشرين من ذي القعدة سنة (٧٢٨هـ)، (وفي يوم الثلاثاء عشرين ذي الحجة

(١) البداية والنهاية، (١٤/١٢٩).
(٢) السلوك، (٢/١/٢٧٣).

أُفرج عن الشيخ الإمام العالم العلامة أبي عبد الله شمس الدين بن قَيِّم الجوزية)[1].

وقد امتحن ابن القَيِّم - رحمه الله - غير هذه المرة أيضاً:

فتواه بجواز السباق بغير مُحَلِّل ومحنته بسبب ذلك:

كان ابن القَيِّم - رحمه الله - يُفتي بجواز إجراء السباق بين الخيل بغير مُحَلِّل، وَصَنَّف في ذلك كتابه: (بيان الاستدلال على بطلان اشتراط محلل السباق والنضال) أو: (بيان الدليل على استغناء المسابقة عن التحليل)[2].

وقد أشار ابن حجر - رحمه الله - إلى محنته هذه، فقال: " وجرت له محن مع القضاة، منها: في ربيع الأول - يعني سنة ٧٤٦هـ - طلبه السبكي بسبب فتواه بجواز المسابقة بغير مُحَلِّل، فأنكر عليه وآل الأمر إلى أنه رجع عما كان يُفتي به من ذلك " [3].

وحكى ابن كثير هذه الحادثة، ولكنه ذكر ما يفيد أن ابن القَيِّم كان يفتي في ذلك برأي شيخه، وصَنَّف هذا المصنف لنصرة رأي الشيخ، ثم صار يفتي به دون نسبته إلى شيخه، فظنوه قوله، فحصل له ما حصل، ثم (انفصل الحالُ على أن أظهر الشيخ شمس الدين.. الموافقة للجمهور)[4].

قال الشيخ بكر أبو زيد: " وقضية الرجوع محل نظر، فلا بد من

(١) البداية والنهاية، (١٤/١٤٥).
(٢) انظر مؤلفات ابن القَيِّم.
(٣) الدرر الكامنة: (٤/٢٣).
(٤) البداية والنهاية: (١٤/٢٢٧).

تثبيت ذلك، وأرجو من الله تعالى أن يمنَّ عليَّ بما يدل على ذلك، نفياً أو إثباتاً " [1].

قلت: أما كتبه التي بين أيدينا، فليس فيها ما يدل على رجوعه، وبخاصة كتاب (القروسية)، ولكن ابن كثير - رحمه الله - يحكي ما شاهده بنفسه من إظهاره الموافقة للجمهور، فهل أظهر ابن القَيِّم ذلك دفعاً للشر عن نفسه دون أن يرجع حقيقة عن رأيه؟ الله أعلم.

والذي يهمنا في هذه القضية: أن ابن القَيِّم - رحمه الله - قد امتحن من القضاة بسببها، وأوذي في سبيل ذلك.

فتواه في مسألة الطلاق الثلاث ومحنته بسبب ذلك:

وقد امتحن ابن القَيِّم مرة أخرى بسبب فتواه بأن الطلاق الثلاث بكلمة واحدة يقع طلقة واحدة، وهو اختيار شيخه ابن تَيْمِيَّة أيضاً.

ويشير ابن كثير - رحمه الله - إلى ما وقع له بسبب ذلك، فيقول: " وقد كان متصدياً للإفتاء بمسألة الطلاق التي اختارها الشيخ تقي الدين ابن تيمية، وجرت بسببها فُصُولٌ يطول بسطها مع قاضي القضاة تقي الدين السبكي وغيره " [2].

ولم يبين لنا ابن كثير ما وقع له بسب ذلك، لكن الظاهر أنه لم يُحْبَس إلا في المرة التي كان فيها مع شيخه ابن تَيْمِيَّة، وذلك بسبب فتوى شد الرحل، وأما مسألة الطلاق، وكذا مسألة المحلل في السباق، فيظهر أنه جرت له بسببهما فتن ومحن مع القضاة فحسب، وأنه لم يُسجن بسبب ذلك، وقد ذكر الشيخ بكر أبو زيد أنه سُجن بسبب هذه الفتاوى كلها[3].

(١) ابن قَيِّم الجوزية - حياته وآثاره: (ص٤٣).
(٢) البداية والنهاية: (١٤/٢٤٦ - ٢٤٧).
(٣) ابن قَيِّم الجوزية - حياته وآثاره: (ص٤٢).

ولم أر ما يدل على ذلك، ولعل كلام ابن رجب صريح في أنه لم يُحبس إلا في تلك المرة مع الشيخ، فقد قال: " وقد امتُحن وأُوذي مرات، وحُبس مع الشيخ تقي الدين في المرة الأخيرة في القلعة " [1].

ومما يؤكد - أيضاً - أن فتواه في مسألة الطلاق قد سببت له مشكلات مع القضاة، ما حكاه الحافظ ابن كثير - رحمه الله - من الصلح الذي تم بين السبكي وابن القَيِّم، فقد ذكر في أحداث سنة ٧٥٠هـ - قبل موت ابن القَيِّم بعام واحد - في السادس عشر من شهر جمادى الآخرة منها، أنه (حصل الصلح بين قاضي القضاة تقي الدين السبكي، وبين الشيخ شمس الدين بن قَيِّم الجوزية، على يدي الأمير سيف الدين بن فضل ملك العرب، في بستان قاضي القضاة، وكان قد نقم عليه إكثاره من الفتيا بمسألة الطلاق)[2].

فالمقصود أنه - رحمه الله - ابتلي وأوذي وامتحن بسبب صدعه بالحق، وإعلانه رأيه وما يعتقده دون مجاملة أو خوف من أحد، فرحم الله ابن القَيِّم رحمة واسعة، وجزاه عما قَدَّم خير الجزاء.

٢ - وفاتُه:

وبعد هذه الحياة الحافلة بالجهاد المتصل لنشر منهج السلف، ومحاربة كثير من الانحرافات التي ابتدعها الخلف، وما لقيه من محن في سبيل ذلك، وبعد أن كَمُلَ له من العمر ستون سنة، توفي هذا الإمام العالم العلامة، وذلك في ليلة الخميس، ثالث عشر من

(١) ذيل طبقات الحنابلة: (٤٤٨/٢).
(٢) البداية والنهاية: (٢٤٤/١٤).

شهر رجب، من سنة إحدى وخمسين وسبعمائة (٧٥١هـ) وقت أذان العشاء[١].

ووقع عند ابن رجب: (ثالث عشرين رجب)[٢]. ولعله تصحيف طباعي، فتكون كلمة (من) تصحفت إلى (ين)؟ وذلك لاتفاق المصادر على ما قدمناه من أنه كان في ثالث عشر؛ ولأن ابن رجب من تلاميذ ابن القَيِّم المقَرَّبين، فيبعد أن يخفى عليه يوم وفاته.

ووقع في (البدر الطالع) [٣]أنه كان في (ثالث شهر رجب)، وهذا خطأ أيضاً.

وقد صُلِّيَ عليه - رحمه الله - من الغد عقب صلاة الظهر بالجامع الأموي، [٤]ثم بجامع جَرَّاح[٥].

ولأن ابن القَيِّم - رحمه الله - كان قائماً لله بالحق، صادقاً في النصح للخلق فقد " كانت جنازته حافلة رحمه الله، شهدها القضاة والأعيان والصالحون، من الخاصة والعامة، وتزاحم الناس على حمل نعشه " [٦].

فقد " شَيَّعَه - رحمه الله - خلق كثير " [٧]، " وكانت جنازته مشهودة "، " وحافلة جدًّا " [٨].

نعم لقد كانت جنازته حافلة عامرة، شهدها كثير من الخلق، كما

(١) الوافي بالوفيات: (٢٧٢/٢)، البداية والنهاية: (٢٤٦/١٤)، والدرر الكامنة: (٢٣/٤).
(٢) ذيل طبقات الحنابلة: (٤٥٠/٢).
(٣) (١٤٥/٢).
(٤) البداية والنهاية: (٢٤٦/١٤).
(٥) ذيل طبقات الحنابلة: (٤٥٠/٢).
(٦) البداية والنهاية: (٢٤٧/١٤).
(٧) ذيل طبقات الحنابلة: (٤٥٠/٢).
(٨) الرد الوافر: (ص٦٨). الدرر الكامنة: (٢٣/٤).

كانت جنازة شيخه رحمه الله، التي لم يتخلف عنها من أهل دمشق سوى ثلاثة نفر، وقد قال الإمام أحمد رحمه الله: " قولوا لأهل البدع: بيننا وبينكم الجنائز ".

كانت هذه جنازته - رحمه الله - مع ما كان له في قلوب الكثيرين من العداوات، ومع ما حِيَكَ ضده من المؤامرات.

وَدُفِنَ - رحمه الله - عند والدته بمقابر الباب الصغير.

وقد رُؤِيَتْ له بعد موته " منامات كثيرة حسنة ".

وكان هو - رحمه الله - " قد رأى قبل موته بمدة الشيخ تقي الدين - رحمه الله - في النوم، وسأله عن منزلته؟ فأشار إلى علوها فوق بعض الأكابر، ثم قال له: وأنت كدت تلحق بنا، ولكن أنت الآن في طبقة ابن خزيمة رحمه الله ".

فَرَحِم الله ابن القَيِّم رحمة واسعة، وجزاه عن الإسلام وأهله خيراً، وأسكنه فسيح جناته، آمين [1].

* * *

(١) كتاب ابن قيم الجوزية وجهوده في خدمة السنة.